Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عندما كان الإنسان في بداياته الأولى ، ولم تكن الكتابة موجودة ، كان بالوسع تصور أولئك الذين تميزوا بفضيلة الشفاهية ، بذلك الاندفاع في القول ذي المعنى دون توقف ، حيث الذاكرة تختزن في اللسان !

ويتضح ذلك في المواقف الحاسمة والحرجة ، تلك التي تتطلب جرأة في المواجهة ، وسرعة في الإجابة ! ويذكر هنا قول ذلك الأعرابي ، في البلاغة ، وهو (الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل) والإيجاز كذلك هو (حذف الفضول ، وتقريب البعيد(3)) – طبعا ، لا يتم شيء من ذلك إلا في صور مؤثرة تغير في تفكير المتلقي ويذكر أيضا ضمن هذا الإطار ، ما قاله عمر بن عبد العزيز : (ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه(4)) ما الذي يمكننا استخلاصه من قول كهذا ؟

إذا كان الناس يتكلمون ، فليس جميعهم يقولون ما هو مؤثر – والشفاهية لا تعني أن كل ما يقال يؤخذ به – فثمة رهبة تتجسد في الشفاهية تلك ، وهي ليست كذلك إلا لأنها تستنطق صاحبها قبل أي آخر – فالمواجهة مفتوحة بين طرفين ، وهي تتوتر بقدر ما يكون الموقف صعبا . والحالة معقدة . وخاصة عندما يواجه أحدهم شخصا يعرف بحذاقة الكلام ، والنيل من الآخرين ، عن طريق فنون القول التي يمتلكها ! .

وهذا يعني أن رهبة الشفاهية ، هي بمثابة دفع صاحبها إلى أن يعترف بما لديه من إمكانات ومعلومات . وتتعدى – انطلاقا من ذلك – الإطار الظاهري لها، هذا الذي يرتبط بمجرد القول ، وتفصح عن الهواية الضمنية للمتكلم – وهي في الوقت نفسه ، مواجهة المرء لنفسه ، وبنفسه ، فالشافه يواجه ذاته قبل أي آخر ..

---

(3) – انظر " الجاحظ ، أبا عثمان عمرو بن بحر " : البيان والتبيين – دار إحياء التراث العربي – بيروت – 968 – المجلد الأول – الجزء الأول – ص(70) .

(4) – المصدر نفسه – ص(120) .